الدكتور مصطفى الفقى والعروبة المصرية

د. مصطفى الفقى

بقلم: د. حسين عبد البصير

لكل مفكر مشروع فكرى يوضح رؤيته ويمثل حصاد مبنيه. ويقوم مشروع المفكر السياسي والمثقف القومي البارز ومدير مكتبة الإسكندرية الدكتور مصطفى الفقى على فكرة تجديد الفكر القومي والإيمان الكامل بالعروبة والتأكيد على هذا البعد الخاص من أبعاد مصر الحضارية والشخصية المصرية، ابتداءً من اشتغاله بالعمل السياسي، ومرورًا بكتابه الرائد «تجديد الفكر القومي»، ووصولاً إلى كتابه الجديد، «العروبة المصرية»، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2017، 681 صفحة من القطع المتوسط)، حيث يقدم لنا الدكتور الفقى رؤيته السياسية والثقافية الثاقبة لدور مصر العربي والقومي والمحوري في محيطها العربي منذ البدايات، مع التركيز على الحقبة الناصرية والتي تبلورت فيها الرؤية والمفهوم القومي وما تلاها.

ويمثل هذا الكتاب خلاصة فكر ورؤية الدكتور الفقى في هذا الشأن، ومفتاحًا لمشروعه الفكري المبنى على بعث الفكر القومي. فمصر هي حجر الزاوية في المشروع القومي العربي الذي يعاني حاليًا من تقلبات كثيرة في ظل انحسار المد القومي وغياب المشروع الناصري الذي كان القوة الدافعة له.

ويقول الدكتور الفقى في تقديمه: «دعنا نعترف أن العروبة السياسية قد ترسخت بعد ثورة يوليو 1952 حيث جسد جمال عبد الناصر رمزًا لقيادة عربية مسموعة من الخليج إلى المحيط».

وجمع هذا الكتاب كتابات الدكتور الفقى العديدة حول قضايا تتعلق بما يطلق عليه «العروبة المصرية» كمكون محوري من البنية الفلسفية للهوية المصرية العريقة. ويؤكد المؤلف على أن: «عروبة مصر كانت دائمًا مصدر إلهام ومركز تأثير لبلد حافظ على تراثه الثقافي وهويته القومية»، فضلاً عن الدور المحوري للأزهر الشريف والبعد الإسلامي للهوية المصرية للحفاظ على اللغة العربية وآدابها وفنونها وعلومها، فكانت تلك الهوية العروبية الثقافية هي الأساس الذي قامت عليه العروبة السياسية التي بزغت من مصر جمال عبد الناصر وثورة يوليو ذات البعد القومي الذي كان أبرز ما قامت من أجله وأعلت من شأنه. ومصر هي حاضنة الثقافة العربية ومركز العروبة وهذه قضية مستقرة لا تحتاج إلى إثبات أو مناقشة. ويقرأ المؤلف الأحداث ويعيد وضع السياسات في إطارها من خلال رؤية تنظيرية جادة تسعى لبعث الروح العربية، وينتج في النهاية اصطلاحًا جديدًا، هو «العروبة المصرية»، إحدى أبرز سمات أدبيات الشؤون العربية التي تنبني على الدور المصري، ويكشف آفاق المستقبل في أبواب الكتب العشرة من خلال طرح العديد من القضايا الإشكالية والمقارنات بين النظم العربية ومشكلاتها المؤرقة بين السياسة والتنمية والقضية الفلسطينية وإسرائيل والرأي العام وحقوق الإنسان وثورة المعلومات وسقوط الحواجز والعرب والعالم وعروبة مصر وثورات الربيع العربي وما لها وما عليها والأطماع الإيرانية التركية وتراث الخلافات العقائدية وتراجع المشروع القومي في مواجهة المد الإسلامي والعديد من القضايا والشخصيات وإشكاليات المستقبل العربي.

ويكمن جوهر الكتاب في التأصيل لما يذهب إليه المؤلف من انتقال الهوية المصرية من مرحلة «العروبة الثقافية» إلى مرحلة «العروبة السياسية»، مركزًا على المفهوم العصري للقومية العربية والبعد الثقافي والتجانس اللغوي كعناصر مشكلة لسبيكة العروبة المصرية والقومية العربية.

وهذا الفكر القومي ليس غريبًا على الدكتور مصطفى الفقى الذي عمل لأكثر من نصف قرن في العمل العربي المشترك، وعرك الحياة السياسية بكل مستوياتها في عالمنا العربي حين عمل مساعدًا أول لوزير الخارجية المصرية للشؤون العربية، ومندوبًا دائمًا لمصر لدى الجامعة العربية، فضلاً عن ترشيح مصر له لمنصب الأمين العام للجامعة العربية عام 2011.

هذا كتاب كاشف ومفيد لكل المهتمين بالشؤون العربية ومصر العروبة وللأجيال القادمة. فتحية تقدير للدكتور مصطفى الفقى على هذا الكتاب القيم.